

# سيقتلونك سيقتلونك وإن سكت



الجمعة 10 مارس 2017 11:03 م

د [ أكرم كساب :

من يقرأ التاريخ - قديمه وحديثه - يرى أن الناس فيه على قسمين:

قسم يعيش لنفسه ولو على حساب غيره [ لا تشغله إلا نفسه، ولا تقيمه إلا شهوته، ولا تحركه إلا شهوته [ لا يشغله قريب ولا حبيب، ولا يعمل لدين ولا وطن، نفسه منه في راحة، والناس منه في عناء [

وقسم آخر: يعيش لغيره ولو على حساب نفسه وأهله، يعطي للناس من وقته وصحته، ويبذل للناس من روحه وعافيته، لا يشغله حاله عن أمته أو وطنه، ولا تلهيه زخارف الدنيا عن مطالب دينه ودعوته، فهو كما قيل: نفسه منه في عناء والناس منه في راحة [

وبين هذه القسمين أناس يطلبون الراحة، فلا هم في العير ولا في النفير، لا همّا حملوا، ولا ديناً بلغوا [ فهم وإن لم يؤذوا غيرهم إلا أنهم رضوا لأنفسهم بحياة الدون [ شعارهم:

إنما الدنيا طعام ومنام فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

ومثل هؤلاء قال عنهم ربنا جلّ وعلا: { لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [ الأعراف: 179].

وقد أقام الدنيا وأقعدها الزبيرقان بن بدر حين وصفه الحطيئة بأنه مجرد آكل كاسي [ ذكر ابن عبد البر في (العقد الفريد) أن الحطيئة قال في هجائه الزبيرقان بن بدر:  
دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه عمر بن الخطاب وأسمعه الشعر، فقال: ما أرى بما قال بأسا [ قال: والله يا أمير المؤمنين ما هجيت بيت قط أشدّ منه [ فأرسل إلى حسان فسأله: هل هجاه؟ فقال: ما هجاه، ولكنه سلح عليه [

وقد وصف ابن حنبل هذا الصنف بأنهم (مستريحو العقل) ذكر صاحب (الآداب الشرعية المرعية): قال ابن المنادي دخل أحمد بن داود الحداد على أبي عبد الله الحبس قبل الضرب فقال له في بعض كلامه يا أبا عبد الله عليك رجال ولك صبيان وأنت معذور كأنه يسهل عليه الإجابة فقال له أحمد بن حنبل إن كان هذا عقلك فقد استرحت [ فقال لها الخامل الشاكي [ لا تكن طعوما لوبسا فبئست الحياة تلك [

ويا أيها الهارب الباكي [ لا تكن مستريح العقل بترك دعوتك فتخسر وتهلك [

لا تركز ولا تقعد وإلا سيقتلونك:

ويا من تركت الطريق عملا ودعوة [ صمودا وصبرا [ مواجهة وثورة [ تضحية وعطاء [

يا هذا ويا ذاك ويا ذلك [

لو ظننت أن اعتزالك للحق سيرضي عنك أهل الباطل فأنت واهم [ فربك جلّ شأنه: { وَلَا يَرَالُونَ بِمَا اتَّبَعْتُمْ دِينِي يُرَدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ

اسْتَطَاعُوا} [البقرة: 217]...

ولو توهمت أن بُعدك عن طريق الحق سيجنبك المخاطر فأنت مخطئٌ مخطئٌ والله جلّ وعلا يقول: {أَيُّنَمَا تَوَلَّوْا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء: 78]...  
سيطاردنوك حتى وإن غلقت بابا دون باب،،،

ولو اتخذت حجابا بعد حجاب،،،

فمظنة وجود بقايا الحق عندك تقتلهم،،،

وماضيك النقي الطاهر يفضحهم

فسيةقتلونك سيةقتلونك

نعم والله سيةقتلونك

سيةقتلونك جوعا وعطشا أو يقتلونك خوفا ورعبا

أو يقتلونك حزنا وكمدًا أو يقتلونك رضا بالظلم وركونا

وفي هذا تكون الطامة الكبرى، وقد حدّر الله من ذلك فقال: {وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} [هود: 113] يقول صاحب الظلال: (لا تستندوا ولا تطعنوا إلى الذين ظلموا إلى الجبارين الطغاة الظالمين، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبدونهم لغير الله من العبيد لا تركنوا إليهم فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه ومشاركتهم إثم ذلك المنكر الكبير).

فيا صاحب الهمّ والهمة:

ليكن عملك للحق أولى من انسحابك وتواريك

وليكن صبرك على الطريق زادا لمن أحبك ووثق فيك

لا تدخل من أحبك

ولا تفضح من استأمنك

ولا تُعن من ظلمك وشردك

وإياك من زعزعة اليقين فيمن خلقك

واحذر من فقد الثقة فيمن هداك وأكرمك بالدعوة وحبك

واعلم بأن مشقة الطريق لا تعني استدامته، وأن كثرة العقبات لا تستلزم بقائها، وها هو القرآن بعد أن ذكر من فداحة ما فعل فرعون بقومه يقول: {وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (5) [القصص: 4، 5].

ولله در القائل:

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ يدقّ حفاه عن فهمِ الدكيِّ  
وكم يسرُّ أتى من بعدِ عشرٍ فمرَّج كُرْبَةَ - القَلْبِ السَّجِيِّ  
وكم أمرٌ تساءً به صباحاً وتأتيتك المَسْرَةَ - بالغشيِّ  
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثقِّ بالواجدِ القُرْدِ العَلِيِّ

المقال يعبر عن رأي كاتبه ولا يعبر بالضرورة عن رأي نافذة مصر